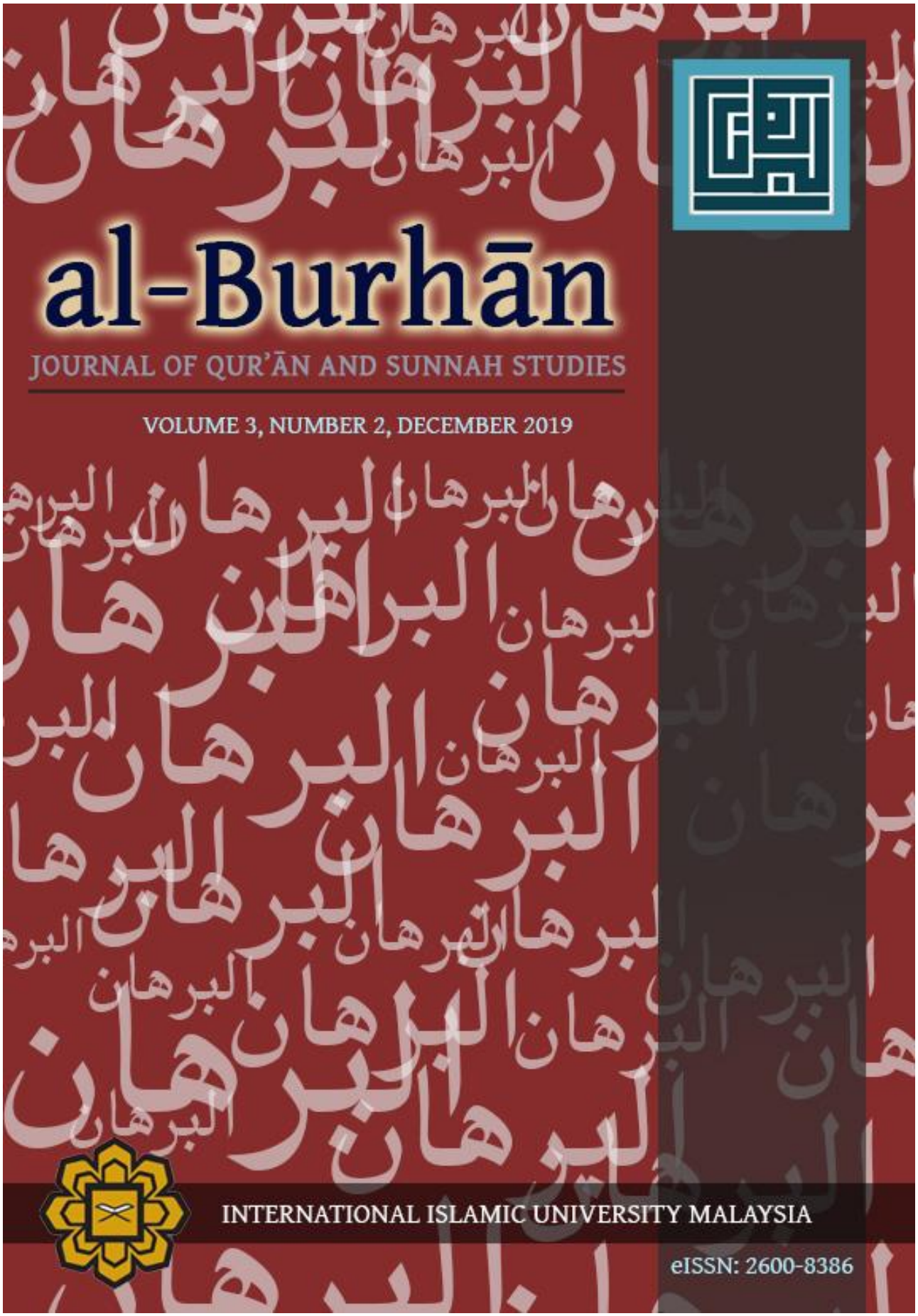

al-Burhān

JOURNAL OF QUR'ĀN AND SUNNAH STUDIES

VOLUME 3, NUMBER 2, DECEMBER 2019

INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

eISSN: 2600-8386

al-Burhān

Journal of Qur'ān and Sunnah Studies
Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences

Volume 3	1441 H/2019 M	Issue 2

Editor-in-Chief
Assoc. Prof. Dr. Sohirin Solihin

Associate Editor
Asst. Prof. Dr. Khairil Husaini Bin Jamil

Guest Editor (Arabic)
Prof. Dr. Mohammed Abullais Shamsuddin

Editorial Board
Assoc. Prof. Dr. Ammar Fadzil, IIUM
(ammar@iium.edu.my)

Asst. Prof. Dr. Haziyah Hussin, UKM
(haziyah@ukm.edu.my)

Asst. Prof. Dr. Monika @ Munirah Binti Abd Razzak, UM
(munirahar@um.edu.my)

Asst. Prof. Dr. Muhammad Farid Ali al-Fijawi, IIUM
(abumariyah@iium.edu.my)

Asst. Prof. Dr. Muhammad Fawwaz Muhammad Yusoff, USIM
(fawwaz@usim.edu.my)

Asst. Prof. Dr. Nadzrah Ahmad, IIUM
(anadzrah@iium.edu.my)

Asst. Prof. Dr. Zunaidah Mohd. Marzuki, IIUM
(zunaidah@iium.edu.my)

Advisory Board
Prof. Dr. Muhammad A. S. Abdel Haleem, SOAS, University of London.
Prof. Dato' Dr. Mohd Yakub @ Zulkifli Bin Mohd Yusoff, University of Malaya.
Prof. Dr. Awad al-Khalaf, University of Sharjah, United Arab Emirates.

© 2019 IIUM Press, International Islamic University Malaysia. All rights reserved.

ISSN 2600-8386

Correspondence
Managing Editor, *al-Burhān*
Research Management Centre, RMC
International Islamic University Malaysia
P.O Box 10, 50728 Kuala Lumpur, Malaysia
Tel: (603) 6196-5541/6126 Fax: (603) 6196-4863
E-mail: alburhan@iium.edu.my
Website:
https://journals.iium.edu.my/al-burhan/index.php/al-burhan

Published by:
IIUM Press, International Islamic University Malaysia
P.O. Box 10, 50728 Kuala Lumpur, Malaysia
Phone (+603) 6196-5014, Fax: (+603) 6196-6298
Website: http://www.iium.edu.my/office/iiumpress

AL-BURHĀN, 3:2 (2019), 116-134.
Copyright © IIUM Press
e-ISSN 2600-8386

المنافقون وأساليبهم المختلفة لهدم المجتمع: دراسة تحليلية لآيات سورة التوبة

Hypocrites and Their Various Methods of Community Destruction: An Analytical Study of the Verses of Sūrah al-Tawbah

ماهر بن غزالي

د. نور محمد عثماني

Maher Bin Ghazali *

Noor Mohammad Osmani, PhD **

ملخص البحث: يهدف هذا البحث إلى بيان الأساليب التي يسعى المنافقون إلى استخدامها في محاولة هدم المجتمع المسلم، من خلال استقراء آيات سورة التوبة، ومن ثم تحليلها، ومعرفة أقوال المفسرين حولها. حيث يتبين لنا أن المنافقين لا يألون جهداً في السعي إلى إيذاء المسلمين، والنيل منهم. ولهذا فإنه من الضروري جداً معرفة أساليبهم، وكشفها أمام العامة، والخاصة. وقد خلص البحث إلى معرفة بعضٍ من هذه الأساليب، وهي: محاولة استخدام الحرب النفسية ضد المجتمع من أجل تثبيط الناس، والإرجاف بهم. وكذلك السعي إلى إسقاط الرموز، والقدوات، وأيضاً محاولة اغتيال القادة، والعلماء بهدف خلق نوعٍ من الفراغ الداخلي، وأخيراً الإمساك عن الإنفاق في سبيل الله. وجميع هذه الأساليب تهدف إلى هدم المجتمع، وضرب استقراره.

الكلمات المفتاحية: المنافقون، أمن المجتمع، سورة التوبة، أساليب الهدم، القرآن والمجتمع.

Abstract: This study aims at explaining the styles and methods that the hypocrites seek to use in order to destroy the Muslim community. It is done through exploring the Qur'anic verses in Surah al-Tawbah, analysing it and learning the statements of the Qur'anic commentators about them. As it turns out, the hypocrites did not spare any effort in seeking to harm Muslims. Therefore, it is imperative to know their styles and methods and expose them to the general people and the scholars. The research concluded that some of these methods include as follows: the hypocrites try to use psychological warfare against Muslim society to demotivate them and to spread false rumours; try to assassinate the leaders and the scholars in order to create an internal vacuum; also to abstain from spending in the causes of Allah. All these approaches are intended to destroy the society and to end its stability.

* Doctoral researcher, Department of Qurʾan and Sunnah Studies, Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences, International Islamic University Malaysia. Email: maherbinghazali@gmail.com

** Associate Professor, Department of Qurʾan and Sunnah Studies, Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences, International Islamic University Malaysia. Email: abusajid@iium.edu.my

تمهيد

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عِوجاً، وتبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة، والسلام على من بعثه الله هادياً، وبشيراً، وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً.

وبعد! فإن من أعظم الأهداف التي سعى القرآن إلى تحقيقها بناء المجتمع المسلم بناءً قوياً صحيحاً حتى يقوم بدوره المنُوطِ به في هذه الحياة من إقامةٍ لهذا الدين، وكذلك حماية المستضعفين من المسلمين، أي بمعنى أن الحاجة ماسةٌ إلى مجتمعٍ إسلاميٍ متماسك القُوى، والأركان، وإن من أشد ما يناقض هذا الهدف الذي جاء به القرآن هو فِكرة النفاق، وخُلُق المنافقين؛ إذ إنهم يسعون دائماً إلى نشر الخراب، وإثارة الفوضى، ولهذا جاء التحذير منهم في سبع عشرة سورةٍ مدنيةٍ، وفي أكثر من ثلاثمائةٍ، وأربعين آية[1]، حتى قال ابن القيم فيهم: "كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم"[2]. قال تعالى مشيراً إلى صفةٍ من صفات هؤلاء المنافقين: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۞ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة: ٨-٩] قال ابن كثيرٍ في تفسير الآية: "ولهذا نبه الله، سبحانه، على صفات المنافقين لئلا يغتر بظاهر أمرهم المؤمنون، فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم، ومن اعتقاد إيمانهم، وهم كفار في نفس الأمر، وهذا من المحذورات الكبار أن يظن بأهل الفجور خير"[3].

واستكمالاً لهذا التحذير الإلهي من النفاق، وأهله، فإننا في هذا البحث نحاول مناقشة موضوع النفاق، والمنافقين في سورة التوبة، مع الكشف عن أساليبهم التي يستخدمونها غالباً بقصد هدم المجتمع المسلم، حتى يكون الناس على درايةٍ كافيةٍ بهم، فيأخذوا أهبتهم، واستعدادهم لمثل هذه الأساليب، والوسائل.

---

[1] انظر: جمع من العلماء، **موسوعة التفسير الموضوعي**، ج٣٣، ص٣١٤.

[2] محمد بن أبي بكر بن أيوب، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٧، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، ج١، ص٣٦٤.

[3] إسماعيل بن عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، (الرياض: دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٠م)، ج١، ص١٧٧.

مفهوم النفاق

أصل النفاق عائدٌ إلى كلمة نفق، ويدل على معنيين، أحدهما: انقطاع الشيء، والآخر: إخفاؤه، وإغماضه[٤]. وقد جاء في بعض المعاجم القرآنية ما يؤكد المعنى الثاني، وهو أن النفاق: "إظهار ما يخالف الباطن"[٥]، يقول الراغب الأصفهاني: "ومنه النفاق، وهو الدخول في الشرع من بابٍ، والخروج عنه من بابٍ"[٦]، وهذا يعني أن النفاق فعلٌ قبيحٌ مُستنكرٌ تأباه النفوس السليمة، وذلك لأنه يتضمن خُلُق الكذب، والمخادعة، ولهذا أشار عبد الرحمن الميداني إلى أن النفاق يعتبر بمثابة حالةٍ مرضيةٍ تدفع الشخص المصاب به إلى إظهار الإيمان، وإبطان الكفر، وهو مصطلحٌ إسلاميٌ لم تكن تعرفه العرب قبل ذلك[٧].

مما سبق بيانه، نستطيع القول بأن المقصود بالنفاق، أو المنافق في هذا البحث هو: من يسعى إلى إظهار الإيمان، وإخفاء الكفر، إلا أنه يقوم بإظهار هذا الكفر أمام من وافقه في آرائه، وتوجُّهاته فقط.

مفهوم الهدم

إن الهدم معناه: نقْضُ البناء، أو نقيضه، فيقال: هدَمه يهدِمه هدماً فانهدم، وتهدَّم[٨]، أي بمعنى: أسقطه[٩]، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ**

---

[٤] انظر: أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج٥، ص٤٥٤.

[٥] أحمد مختار عمر، **المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته**، (الرياض: سطور المعرفة، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص٤٥٣.

[٦] الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصبهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دمشق: دار القلم، ط٤، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص٨١٩.

[٧] انظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، **ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ**، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ج١، ص٥٢-٥٤.

[٨] انظر: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، **تاج العروس من جوهر القاموس**، تحقيق: علي هلالي، (الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ج٣٤، ص٧٥، وانظر: محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الأفريقي، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، د.ط، د.ت)، ج١٢، ص٦٠٣.

[٩] الراغب الأصبهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص٨٣٥.

وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾[الحج:٤٠] قال القرطبي في بيان معنى الهدم هنا: "لهدمت: من هدمت البناء، أي: نقضته فانهدم"[١٠].

وقيل أيضاً: إن الهدم يأتي بمعنى القتل، أو الإماتة[١١]، إلا أن هذا ليس المراد به في هذا البحث، فالمقصود بالهدم هنا إذاً المعنى الأول، وهو: إرادة إتلاف الأشياء، أو تخريبها عن عمدٍ، وسوء طوّيةٍ، سواءً أكان ذلك بشكلٍ حسيٍ، أو معنويٍ.

المنافقون في سورة التوبة، وكشف أساليبهم لهدم المجتمع

تعتبر سورة التوبة من السور المهمة في القرآن، وذلك لأنها قامت بالتركيز على فئة المنافقين تحديداً، حيث جاءت غالب آياتها بالحديث عنهم، وبيان حالهم للناس[١٢]، ولهذا فإنه لو تم تدبرها بشكلٍ دائمٍ، وإمعان النظر في آياتها، لاستطعنا من خلالها معرفة المزيد من أحوال المنافقين اليوم، وكذلك الأساليب التي يسعون إلى استخدامها من أجل هدم المجتمع، وبهذا يمكننا التنبه لهم، وتحذير الناس منهم.

التعريف بسورة التوبة

تعتبر سورة التوبة من أواخر السور نزولاً على رسول الله ﷺ، فقد أشار ابن عاشورٍ في تفسيره إلى أنها نزلت بعد سورة الفتح في أول شهر شوالٍ من العام التاسع الهجري، وقيل: في آخر شهر ذي القعدة، فهي مدنيةٌ، إلا آيةً، أو آيتين منها[١٣]، وهذا يعني أن جميع الأحكام المتعلقة بسورة التوبة، وكذلك الأوامر، والنواهي الشرعية التي جاءت بها، تعتبر بمثابة التقريرات الأخيرة من الله ﷻ لهذه الأمة[١٤]، فوجب النظر إليها، والالتزام بها دائماً.

ونظراً لِعظمِ شأن سورة التوبة، وما ورد فيها من أحداثٍ عظامٍ، نجد أنها تُعد من أكثر سور القرآن اسماً على الإطلاق، فمن أسمائها: الفاضحة، والبحوث، والمبعثرة، والمقشقشة،

---

[١٠] محمد بن أحمد بن أبو بكر القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وآخرين، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ج١٤، ص٤٠٩.

[١١] انظر: الزبيدي، المرجع نفسه؛ وابن منظور، المرجع نفسه.

[١٢] انظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، ج٣، ص١٥٦٧.

[١٣] انظر: محمد الطاهر ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤هـ)، ج١٠، ص٩٧.

[١٤] انظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٣، ص١٥٦٤.

والمخزية، وغير ذلك من الأسماء الأخرى[١٥]، والملاحظ أن السمة البارزة على غالب هذه الأسماء إشارتها إلى طائفة المنافقين في مجتمع رسول الله ﷺ، وما كانوا يقومون به من دورٍ تخريبيٍ مؤثرٍ، فوجب التحذير منهم، وبيان خطرهم حتى يكون المؤمنون على درايةٍ بهم، وبأساليبهم المختلفة فيحذروا منهم غاية الحذر، وإذا كان هذا التحذير متعلقاً بمجتمع رسول الله، وهم أهل الإيمان، والتقوى، فإنه بغيرهم من باب أولى، وآكدُ.

وبحسب مصاحف اليوم فإن سورة التوبة تأتي بعد سورة الأنفال، وعدد آياتها مائةٌ وتسعٌ وعشرون آيةً، إلا أن أبا عمرو الداني نقل الخلاف في هذه المسألة، فذكر أن القُرَّاء الكوفيين يرونها مائةٌ وثلاثون آيةً، وأما غيرهم فيرون أنها مائةٌ وتسعةٌ وعشرون آيةً[١٦].

وفي الحقيقة أننا إذا تأملنا سورة التوبة، نجد أن الله ﷻ قد استعرض فيها حال المنافقين بشكلٍ واضحٍ، وقد يكون هذا تربيةً إلهيةً، وإرشاداً للأمة نحو الأسلوب الأمثل في التعامل مع هؤلاء، ولهذا نستطيع القول أن من أعظم الأهداف التي جاءت بها السورة هو حماية المجتمع المسلم من العدو الكامن بين ثناياه، إذ أنه يعتبر أشد خطراً من العدو الخارجي، فالذي يتظاهر بالإيمان، والموادعة –وهو يُضمر الشر– قد يلتبس حاله على كثيرٍ من الناس، بل قد لا يصدقون عنه أية مَثْلبةٍ، ولهذا جاءت السورة بفضح أفعال المنافقين، وكشف أمرهم.

النفاق والمنافقون في سورة التوبة

بعد النظر في سورة التوبة يتبين لنا أن مجتمع رسول الله ﷺ في المدينة لم يكن على هيئة جماعةٍ واحدةٍ، أو على قلب رجلٍ واحدٍ، وقد ذكر منير الغضبان أن المجتمع حينها كان منقسماً على عدة طبقاتٍ، من أهمها:

المهاجرون والأنصار: وهم طبقة الصحابة رضي الله عنهم بوجهٍ عامٍ، والذين كانوا يُشكِّلون البياض الأعظم في المدينة، وممن ساهم في بناء المجتمع، وقوَّته، واستقراره[١٧].

---

[١٥] انظر: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، (دار الوفاء، د.ط)، ج٢، ص٤٧٥؛ والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٠، ص٩٣.

[١٦] انظر: أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني الأندلسي، **البيان في عد آي القرآن**، تحقيق: غانم قدوري الحمد، (الكويت: مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ص١٦٠.

[١٧] انظر: الغضبان، **المنهج التربوي للسيرة النوية التربية الجهادية**، (عمان: دار الوفاء، ط٥، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ج٣، ص٣٨٠-٣٩٣.

المنافقون: وهم بعضٌ من القبائل المحيطة بالمدينة، وبقايا من أهلها، ورأسهم في هذا الأمر عبد الله بن أبي بن سلول، ولشدة مكرهم، وخبثهم، فقد وصفهم الله ﷻ بالمرَدَة، أي أنهم ممن تَمرَّسوا على الخداع، وتفنَّنوا في الكذب، فأصبحت صفةً متأصلةً فيهم، ولهذا قد يخفى أمرهم، وحالهم على كثيرٍ من فئات المجتمع[١٨].

مما سبق يتبين لنا أن أصل نشأة النفاق في سورة التوبة إنما كان في حال قوة المؤمنين، وذلك بعد أن صار لرسول الله ﷺ دولةٌ، وشوكةٌ بالمدينة، ما يعني أن المنافقين لا يظهرون حال ضعف المؤمنين غالباً، لعدم الداعي إلى إخفاء الكفر، والشر. يقول ابن تيمية مؤكداً على هذا المعنى: ""فإنه من حين هاجر النبي ﷺ صار الناس ثلاثة أصناف: إما مؤمنٌ، وإما كافرٌ مظهرٌ للكفر، وإما منافقٌ. بخلاف ما كانوا وهو بمكة، فإنه لم يكن هناك منافق"[١٩].

وبناءً عليه، نستطيع القول أن مبدأ الحديث عن المنافقين في سورة التوبة إنما كان متعلقاً بأحداث غزوة تبوك، حيث ظهر لهؤلاء معالم قوة مجتمع رسول الله ﷺ وإرادتهم غزو الروم على حدود الجزيرة العربية ولأول مرةٍ، ما دعاهم إلى محاولة تثبيط المؤمنين، والارجاف بالناس حتى يتخلفوا عن رسول الله، وقد أشار الله ﷻ إلى هذا فقال: ﴿**عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ**﴾ [التوبة:٤٣] قال القرطبي في تفسير الآية: "أي ليتبين لك من صَدَق ممَّن نافق. قال ابن عباس: وذلك أن رسول الله ﷺ لم يكن يومئذ يعرف المنافقين، وإنما عرفهم بعد نزول سورة التوبة"[٢٠]. وهذا يؤكد لنا أن المنافقين يظهرون دائماً وقت اجتماع المسلمين، وقوتهم، وذلك من أجل زعزعة هذا الاستقرار، وضربه من الداخل.

وبهذا يتبين لنا أن الهدف الرئيسي للمنافقين في سورة التوبة، محاولة هدم المجتمع المسلم بشتى الوسائل، والطرق، وذلك من خلال محاولة العبث بفريضة الجهاد في سبيل الله، ومن ثم تشكيك المجتمع بقدرته على الدفاع عن نفسه، فيكون جاهزاً للسقوط من الداخل، وفي الحقيقة أننا إذا تأملنا واقعنا المعاصر، نجد أن نفس هذه الأهداف تتكرر، وبنفس الطريقة تقريباً، ما

---

[١٨] انظر: الغضبان، **المنهج التربوي للسيرة النوية التربية الجهادية**، ج٣، ص٣٨٠-٣٩٣.

[١٩] أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن تيمية النميري الحراني الدمشقي، **الإيمان**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٥، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ص١٥٩.

[٢٠] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٠، ص٢٢٨. وانظر: الحسين بن مسعود البغوي، **تفسير البغوي معالم التنزيل**، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وآخرين، (الرياض: دار طيبة، د.ط، ١٤١١هـ)، ج٤، ص٥٥.

يعني ضرورة الكشف عن هذه الأساليب دون الحاجة إلى فضح الأعيان، إذ أن النفاق في أصله فكرةٌ، والفكرة لا ترتبط بذوات الأشخاص أبداً.

أساليب المنافقين المختلفة لهدم المجتمع

تضمنت سورة التوبة بين ثنايا آياتها أساليب مختلفةٍ، وطرائق شتىَّ سعى المنافقون إلى استخدامها في محاولةٍ منهم لهدم المجتمع المسلم، ونحن في هذا البحث نحاول الكشف عن بعض هذه الأساليب، وهي على النحو التالي:

استخدام الحرب النفسية ضد المجتمع

تعتبر الحرب النفسية إحدى مجالات الحروب المتعددة، وإذا تأملنا واقعها اليوم نجد أنها تأتي في موازاة الحرب العسكرية دائماً، إلا أنها لا تعتمد على المواجهة المباشرة مع الخصوم، ولهذا قلَّما نرى فيها أسلحةً ظاهرةً، فهي إذاً مواجهةٌ غير تقليديةٍ، والمقصود بهذه الحرب ما أشار إليها محمد جمال الدين من أنها تعني استخدام الدعاية، أو ما يكافئها من الوسائل الأخرى، ومن ثم توجيهها إلى الطرف المقابل، وذلك بغرض التأثير عليه سلباً، أو إيجاباً[٢١]. ما يعني أن هذه الحروب قائمةٌ على الجانب الإعلامي غالباً، أي أنها في الأساس حرب معلوماتٍ، وعقولٍ، ومكمن الخطورة في مثل هذه الحروب النفسية أنها تسعى إلى زعزعة ثقة المجتمع بثوابته الدينية، والاجتماعية، أو بعض المفاهيم التي يرى أنها الحق، والصواب.

والذي يظهر لنا من خلال سورة التوبة أن المنافقين قد أدركوا مدى نجاعة الحروب النفسية، ولهذا سعَوا إلى استخدامها ضد المجتمع المسلم، ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿**فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ**﴾ [التوبة: ٨١] والشاهد هنا هو قول المنافقين: ﴿**لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ**﴾ قال البيضاوي في تفسير الآية: "أي قال بعضهم لبعضٍ أو قالوه للمؤمنين تثبيطا"[٢٢]، يتبين لنا أن الآية جاءت في سياق الحديث عن غزوة تبوكٍ،

---

[٢١] انظر: محمد جمال الدين علي محفوظ، **النظرية الإسلامية في الحرب النفسية**، (القاهرة: دار الاعتصام، د.ط، د.ت)، ص١٥

[٢٢] عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوي**، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، محمود أحمد الأطرش، (دمشق: دار الرشيد، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ج٢، ص٦٩.

وهي كما أشار إليها ابن هشامٍ أنها كانت في ظروفٍ بالغة الصعوبة، وذلك لأن النداء إليها جاء في أيام حرٍ، وصيفٍ، إضافةً إلى أن المسافة بين المدينة، وبين العدو كانت بعيدةً أيضاً[٢٣].

مما سبق يتبين لنا صعوبة موقف جيش رسول الله ﷺ قبيل غزوة تبوك، ما يعني أن الأجواء داخل المجتمع كانت مهيئةً لقبول الآراء المختلفة، وتعدد وجهات النظر، لذا، سعى المنافقون إلى استغلال هذا الظرف الحسَّاس، وأرادوا خلق نوعٍ من التأثير على الرأي العام في المجتمع، وهو ما يطلق عليه العلماء اليوم بالتثبيط، والإرجاف، إلا أنه في الحقيقة يعتبر نوعاً من أنواع الحرب النفسية، وقد ذكر حسن السعيد أن هذا الأسلوب يعتمد على بث الرعب، والشك، واليأس في نفوس المستهدفين[٢٤]، وكان الهدف من استخدامه قبيل غزوة تبوكٍ هدم معنويات الصحابة ﷺ، لذا جاء النهي عن اصطحاب أمثال هؤلاء المرجفين إلى المعارك حتى لا يهدموا الجيش من داخله، جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية قولهم: "لا يستصحب الأمير معه مخذلاً، وهو الذي يثبط الناس عن الغزو ويزهدهم في الخروج إلى القتال والجهاد، مثل أن يقول: الحر أو البرد شديد، والمشقة شديدة، ولا تؤمن هزيمة هذا الجيش وأشباه هذا"[٢٥]. بل حتى في مجتمعنا اليوم، فإنه من الأولى عدم السماح لأمثال هؤلاء من إبداء آرائهم في القضايا المصيرية المتعلقة بالأمة، لأنهم لا يريدون الخير لها إطلاقاً، فديدنهم الكذب، والجُبن دائماً، والذي يظهر من أسلوب التثبيط، والإرجاف الذي مارسه المنافقون قبيل غزوة تبوك، أنهم قد استخدموا فيه طريقة الإقناع، وإظهار النصح، وأن المصلحة في ما اختاروه ورأوه، وهذا يعني أنهم لم يعتمدوا على بث أخبارٍ كاذبةٍ، أو نشر شائعاتٍ مغلوطةٍ، بل استخدموا الحجة العقلية، والواقع المشاهد للعيان، كحرارة الصيف مثلاً، وبعد مسافة العدو، وهذين السببين صحيحين، إلا أننا إذا وضعناهما في سياق أفعال المنافقين نكتشف أنه كان مجرد قلبٍ للحقائق فقط، وهذا الأسلوب يعتبر من أخطر أساليب الحروب النفسية، إذ أن العدو دائماً يظهر في ثوب الناصح المشفق، ما يخفى حاله على كثيرٍ من الناس.

---

[٢٣] انظر: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرون، (القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)، ج٢، ص٥١٦.

[٢٤] انظر: حسن السعيد، **سيكولوجية الإشاعة**، (عمان: دار دجلة، ط١، ٢٠١١م)، ص٢٨.

[٢٥] جمع من العلماء، **الموسوعة الفقهية**، (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج١١، ص٣٩.

وخلاصة الأمر، أن الحرب النفسية التي استخدمها المنافقون –قديماً وحديثاً– ضد أي مجتمعٍ مسلمٍ، إنما الهدف منه في الدرجة الأولى هدم معنويات هذا المجتمع، وضرب استقراره من الداخل، ومن ثم إلحاق الهزيمة النفسية به، حتى يكون جاهزاً للاحتلال، فإذا انهدمت هذه المعنويات، وانهزمت هذه النفوس، فإن أصحابها لن يكونوا قادرين على تحقيق أي نصرٍ، أو هزيمة أي عدوٍ، بَلْه عن أن يدافعوا عن أنفسهم، أو أن يقيموا دولةً، وحضارةً، ولهذا فإنه من الواجب أخذ الحيطة، والحذر من أمثال هؤلاء المنافقين، والاستعداد النفسي، والفكري الجيد لهم، وعدم السير خلف كل مدعٍ للنصيحة، مجهول الحال، والمآل.

السعي إلى اسقاط الرموز والقدوات

يعتبر وجود القُدوات في أي مجتمعٍ إنسانيّ أمراً ضرورياً، لأنهم يُعدُّون من الوسائل التي يمكن الاعتماد عليها غالباً في مجال التربية، والتعليم، وغير ذلك من المجالات الأخرى، وقد عرَّف الراغب الأصفهاني القُدوة فقال: "هي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسناً وإن قبيحاً، وإن سارَّاً وإن ضارَّاً"[٢٦] وفي هذا إشارةٌ إلى أن القدوة له منزلةٌ في المجتمع دوناً عن غيره، ولهذا فهم يقتدون به دائماً لأنه صاحب الفكرة، والمبادرة.

وقد أدرك رسول الله ﷺ مدى أهمية وجود القدوة في المجتمع، ولهذا جاء في الحديث أنه لما بعث أبا موسى الأشعري، ومعاذاً رضي الله عنهما إلى اليمن، قام بوضع المنهج العام الذي يجب أن يسيرا عليه، فقال: «يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا»[٢٧]، يظهر لنا هنا منهج رسول الله في تربية القدوات، وذلك من خلال الزامهم على الأخذ بآداب الإسلام العامة، من التيسير على الناس، واللين معهم، وفي هذا دلالةٌ على أن القدوة جزءٌ لا يتجزأ من الدعوة إطلاقاً.

وعندما أدرك المنافقون أهمية الدور الذي يمارسه الرموز، والقدوات في المجتمع من تأثيرٍ، ودعوةٍ، وغير ذلك، سعوا جاهدين إلى محاولة إسقاطهم من أعين الناس، وتنفير العامة منهم، ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ**﴾ [التوبة:٥٨] ذكر الشعراوي في تفسيره أن المراد بالهمز

---

[٢٦] الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص٧٦.

[٢٧] محمد بن إسماعيل البخاري، **الصحيح**، عناية: أبو صهيب الكرمي، (الرياض: بيت الأفكار الدولية للنشر، د.ط، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج٤، ص٦٥، كتاب الجهاد، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه.

هنا هو عيب شخصٍ ما أثناء غيابه بطريقةٍ غير مباشرةٍ، إما بحركةٍ، أو إشارةٍ، ونحو ذلك، وقد يكون هذا ناتجاً عن ضعفٍ، وخوفٍ منه، أما اللمز فهو عكس الهمز، أي أن الأمر فيه يكون بشكلٍ صريحٍ، وواضحٍ، كاتهام شخصٍ بعينه بأن فيه كذا، وكذا من الأمور[٢٨]، وقد اختلف المفسرون في من نزلت هذه الآية، فمنهم من قال أنها نزلت في أحد الخوارج، ومنهم من قال أنها نزلت في رجلٍ من الأنصار[٢٩]، إلا أن حاصل مجموع هذه الروايات تشير إلى أن هناك ثمة أفراداً، أو جماعةً بعينها كانت تستهدف شخص رسول الله ﷺ بالطعن، والتشويه، والنقد اللاذع، وغير ذلك، سواءً أكانوا من الخوارج، أو المنافقين، قال رشيد رضا في تفسير الآية السابقة: "كان المنافقون يرتقبون الفرص للصد عن الإسلام بالطعن على النبي ﷺ بالشبهة التي يظنون أنها توقع الريب في قلوب ضعفاء الإيمان من الجانب الذي يوافق أهواءهم، وقد كان منها قسمة الصدقات والغنائم"[٣٠]، وعند البخاري في صحيحه أن عبد الله بن ذي الخويصرة، جاء إلى رسول الله وهو يقسم، فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: «وَيْلَكَ مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ»[٣١]. ومع الفارق البيّن بين هاتين الجماعتين، إلا أنه من الواضح أن طريقة اسقاط الرموز، والقدوات الإسلامية يعتبر منهجاً يسير عليه الأعداء دائماً.

يتبين لنا مما سبق أن المنافقين، وغيرهم قد سعَوا إلى محاولة إسقاط الصورة المثالية التي يحملها المجتمع تجاه القدوة، والرمز الإيماني فيه، وهو شخص رسول الله ﷺ، وذلك باتهامه بأمورٍ ليست فيه، كعدم العدل، وغير ذلك، يريدون بذلك هدم القضية التي يقف خلفها، فهم لما لم يقدروا على اتهامه مباشرةً، سعوا إلى الطعن فيه، وقد أشار أحد الباحثين الغربيين إلى أن هذا الأسلوب يعتبر بمثابة أحد استراتيجيات الحرب اليوم، ويعتمد على محاولة التشكيك في نوايا الآخرين، ومحاولة إظهارهم بمظهر الأشرار[٣٢]، ومكمن الخطورة في هذا الفعل أنه يعتبر وسيلةً

---

[٢٨] انظر: محمد متولي الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، (القاهرة: مطابع أخبار اليوم، د.ط، ١٩٩١م)، ص٥٢١١.

[٢٩] انظر: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة: دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ج١١، ص٥٠٦-٥٠٧.

[٣٠] محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، (القاهرة: دار المنار، ط٢، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م)، ج١٠، ص٥٦٥.

[٣١] البخاري، **الصحيح**، ج٩، ص١٧، كتاب استتابة المرتدين، باب من ترك قتال الخوارج للتألف وألا ينفر الناس عنه.

[٣٢] انظر: روبرت غرين، **٣٣ استراتيجية للحرب**، ترجمة: سامر أبو هواش، (الرياض: العبيكان، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، ص٥٠٥.

من وسائل التنفير، فإذا سقطت الصورة المثالية عن القدوات، سقط معها الرمزية الإيمانية التي يحملونها، فلم يعُد لدعوتهم أي قيمةٍ، أو قبولٍ لدى المجتمع.

وخلاصة الأمر، أن محاولة المنافقين –قديماً وحديثاً– إسقاط الرموز[٣٣]، والقدوات من أعين الناس، والمجتمع هو في الحقيقة محاولةٌ لتغييبهم، وعزلهم بعيداً عن دائرة الأحداث، حتى لا يكون لهم إسهامٌ، وصوتٌ مؤثرٌ يهتدي به الناس في معالجة الأزمات، فيحدث هناك نوعٌ من الفراغ الداخلي، ما يكون مؤداه في النهاية انهيار المجتمع من الداخل تربوياً، وأخلاقياً، واجتماعياً، ولهذا فإنه من الواجب على القادة، والرموز في المجتمع الابتعاد دائماً عن مواطن الشبه، والريب، حمايةً لأعراضهم من أذى هؤلاء، ودرءاً للشبه عنهم.

محاولة اغتيال القادة والعلماء

يعتبر وجود القادة أمراً ضرورياً حتى ينتظم أمر المجتمع، ويسودهم النظام، وحسن التدبير، وإذا نظرنا إلى حال العامة مثلاً نجد أن القادة يقع على عواتقهم الثقل الأكبر من المهام، وقد أشار إلى بعضٍ منها الماوردي، فذكر أن من مهام القادة النظر في أمور الجيش، وأرزاقهم، وكذلك النظر في أحوال القضاء، والأحكام، وأيضاً جباية الخراج، وأموال الصدقات، وغير ذلك[٣٤]، وهذا يعني أن وجود القائد، والقيادة يعتبر حاجةً أمنيةً، واجتماعيةً في المقام الأول، وذلك من أجل سياسة الدين، والدنيا معاً، إلا أن القيادة في الإسلام ليست دعوةً إلى حب التملك، أو السيطرة على الآخرين، ومحاولة قهرهم، واستعبادهم.

وبالنظر في سورة التوبة يتبين لنا أن المنافقين لم يقتصروا على محاولات الإيذاء اللفظي لشخص القائد، وهو رسول الله ﷺ، بل سعوا إلى محاولة الإيذاء الجسدي له، واغتياله أيضاً، وقد أشار الله ﷻ إلى هذا فقال: ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا**﴾ [التوبة:٧٤] اختلف المفسرون في معنى ﴿**وَهَمُّوا**﴾ في هذه الآية

---

[٣٣] الرموز جمع رمز، وهي في علم البيان تعني الكناية الخفية، وقد تطلق على الأشخاص، وغيرهم، إلا أن المقصود بها هنا المساجد، حيث جاء ذكر مسجد الضرار في سورة التوبة، مع بيان محاولة المنافقين اسقاطه من أعين الناس، ونزع القداسة منه، وذلك بجعله مقراً من مقرات نشر الفتنة، والضلال.

[٣٤] انظر: علي بن محمد بن حبيب الماوردي، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، (الكويت: مكتبة دار ابن قتيبة، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص٤٠.

على عدة أقوالٍ[٣٥]، إلا أن القرطبي قال في تفسيره: "يعني المنافقين، من قتل النبي ﷺ ليلة العقبة في غزوة تبوك، وكانوا اثني عشر رجلاً. قال حذيفة: سماهم رسول الله ﷺ حتى عدهم كلهم"[٣٦]، وبهذا يتبين لنا أن من الأساليب التي استخدمها المنافقون لهدم المجتمع هو قتل القادة، والعلماء، ففي ظنهم أنه بقتل القادة تسوء سياسة الدنيا لدى المجتمع، وبقتل العلماء يضيع الدين، ويضمحل من أفئدة الناس، فكيف إذاً بمن هو في مقام رسول الله ممن جمع الله له بين سياسة الدين، والدنيا معاً، فاغتياله من باب أولى كما يتوهمون.

ومما يؤكد خبر المنافقين الذين أرادوا اغتيال رسول الله ﷺ في غزوة تبوكٍ، ما ذكره أحمدٌ في حديثٍ طويلٍ في مسنده، حيث أشار إلى أن رسول الله لما كان عائداً من غزوة تبوكٍ، وحذيفة، وعمار ﷺ يسيران بناقته، إذ غشيه جماعةٌ من الملثمين، فأخبر رسول الله عماراً عن هدف هؤلاء قائلاً: «أَرَادُوا أَنْ يَنْفِرُوا بِرَسُولِ اللهِ فَيَطْرَحُوهُ»[٣٧]، فهذا نصٌ صريحٌ من رسول الله في فضح المنافقين، وكشف أسلوبهم، وأنهم سعوا إلى اغتياله، وقتله في غزوة تبوكٍ.

وفي الحقيقة فإن هؤلاء المنافقين لا يتوانون أبداً عن استخدام شتَّى الوسائل، والسبل في سبيل استهداف القادات، والعلماء، ويبدو أن ذلك عائدٌ إلى ما لهم من مكانةٍ دينيةٍ، ودنيويةٍ، فإذا غاب القادة، والعلماء، غابت معهم الحكمة، والتوجيه، والنصح للمجتمع عامةً، ولأهل الجهاد خاصةً، ولهذا أشار عبد الله العقلا إلى أن فقدان القيادة، وغيابهم، يعَّد عاملاً يثير التنازع، والاختلاف الذي يورث الفشل، بالإضافة إلى أنه سببٌ لتخاذل الجند، وفشلهم عن أداء مهامهم[٣٨]، ما يعني أن وجود القادة يُعد عاملاً مهماً من عوامل الاستقرار، والنصر.

وخلاصة الأمر، أن محاولة اغتيال القادة، والعلماء –قديماً وحديثاً– إنما هو في الحقيقة دَأَب الأعداء، والمنافقين دائماً[٣٩]، فهم عندما يعجزون عن مقارعة الحجة بالحجة، والفكر

---

[٣٥] انظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج١١، ص٥٧٣-٥٧٤.

[٣٦] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٠، ص٣٠٤.

[٣٧] أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، **المسند**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، (بيروت: دار الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ج٣٩، ص٢١٠، رقم٢٣٧٩٢، قال المحقق: إسناده قوي على شرط مسلم.

[٣٨] انظر: عبد الله بن فريح العقلا، **إعداد الجندي المسلم أهدافه وأسسه**، إشراف: محمد بن عبد الله بن عرفه، (الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، ص٦٤٥-٦٤٦.

[٣٩] انظر: حمادة إمام، **الموساد اغتيال زعماء وعلماء**، (كنوز للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت)، ص٦٩.

بالفكر، يلجؤون إلى أسلوب التشويه الإعلامي، أو تصيُّد الأخطاء، والعثرات، أو إلى أسلوب الاغتيال الصريح المباشر، وهماً منهم أن هذه الدعوات تسقط بسقوط أصحابها، ولهذا فإنه من الضروري جداً ابعاد كل من بدا منه أمرٌ يدعو إلى الريب، والشك عن دائرة صنع القرار في المجتمع، سواءً أكانوا من القادة، أو العلماء، حمايةً لهم من أمثال هؤلاء، مع محاولة أخذ الاحتياطات الأمنية لهم دائماً.

الإمساك عن الانفاق في سبيل الله

المال قوام الدين، والحضارة، ومظهرٌ من مظاهر قوة الأمم، والمجتمعات، به تُقضى الحوائج، وتُبنى المدائن، وتُجهز الجيوش، فهو عصب الجهاد في سبيل الله، وركيزته الأساسية في التجهيز، والإعداد، ومصداق ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة:١٩٥] أشار وهبة الزحيلي إلى أن هذه الآية فيها دلالةٌ على أن القتال يتوقف على المال، لذا، وجب الإنفاق في سبيل الله، لأنه وسيلة النصر، وطريق الفوز، وترك الإنفاق فيها الهلاك، والضياع[٤٠].

وفي الحقيقة فإن المال يلعب دوراً مهماً أيضاً في المحافظة على استقرار المجتمع، بدلالة ما جاء في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [البقرة:٦٠] ذكر عبدالعزيز الطريفي في تفسيره للآية سبب تأخير مصرف الجهاد عن المصارف الأخرى فقال: "المصارف السابقة للجهاد: بها يتقوى داخلة الإسلام، وبالجهاد يتقوى خارجه ويتحصن من داخله، وفي الآية: إشارةٌ إلى أن تقوية الأمة يبدأ من داخلها، ثم يكون من خارجها"[٤١]، وبحسب هذا الكلام فإن الإمساك عن الانفاق في سبيل الله، وترك الفقراء، والمحتاجين عالةً بلا مساعدةٍ يعني ضرب بنيان المجتمع، وتقويض استقراره.

وإذا تدبرنا سورة التوبة نجد أن المنافقين قد أدركوا مدى أهمية الدور الذي يلعبه المال في استقرار المجتمع، ولهذا سعوا إلى محاولة امساكه، والبخل به، وقد أشار الله إلى هذا فقال: ﴿**فَرِحَ**

---

[٤٠] انظر: وهبة الزحيلي، **التفسير الوسيط**، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ج١، ص٩٧.

[٤١] عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، **التفسير والبيان لأحكام القرآن**، (الرياض: مكتبة دار المنهاج، ط١، ١٤٣٨هـ)، ج٣، ص١٥٤٢.

الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة:٨١] في هذه الآية دلالةٌ على أن المنافقين كرهوا المساهمة في تجهيز جيش رسول الله ﷺ بالمال، والنفس معاً، والملاحظ هنا أن الله ﷻ في معرض وصفه حال هؤلاء، قرن بين تركهم للجهاد بالمال، وبين تركهم للجهاد بالنفس، وفي هذا إشارةٌ إلى أن الذي يبخل ببذل ماله في سبيل الله، فمن باب أولى أن يبخل ببذل نفسه كذلك.

ويبدو أن صفة البخل لدى المنافقين ليست ناتجةً عن أمرٍ فطريٍ فيهم، أو غريزةٍ خُلُقية جُبلوا عليها، فقد ذكر القرطبي في تفسيره أن الجد بن قيس وافق على بذل ماله، شريطة عدم خروجه للغزو[٤٢]، وهذا يعني أن بخلهم إنما كان نتيجة ضعف إيمانهم بالله ﷻ إذ لو كانوا مؤمنين حقاً لبرهنوا على ذلك ببذل أنفسهم، وأموالهم في سبيل الله، وقد جاء في الحديث أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمع غبار في سبيل الله، ولا دخان جهنم في جوف عبدٍ أبداً، ولا يجتمع الشح، والإيمان في قلب عبدٍ أبداً»[٤٣]، فخلو القلب من الإيمان إذاً يعدُّ مانعاً من موانع البذل، والعطاء.

وفي سعي المنافقين إلى محاولة هدم المجتمع، نجد أنهم لم يقتصروا على أنفسهم بالبخل، والشح، بل استخدموا أسلوباً آخر أيضاً، قال تعالى مشيراً إلى هذا: ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [التوبة:٧٩] قال الطبري في تفسير الآية: "جاء عبدالرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب إلى النبي ﷺ، وجاءه رجل من الأنصار بصاع من طعام، فقال بعض المنافقين: والله ما جاء عبدالرحمن بما جاء به إلا رياء. وقالوا: إن كان الله ورسوله لغنيين عن هذا الصاع"[٤٤]، يتبين لنا أن هؤلاء المنافقين لم يكتفوا بالبخل، وعدم البذل فقط، بل سعوا إلى الهمز، واللمز،

---

[٤٢] انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٠، ص٢٣٢؛ وابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٢، ص٥١٦.

[٤٣] أحمد بن شعيب النسائي، **السنن الكبرى**، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: دار الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ج٤، ص٢٧٥، كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه، رقم٤٣٠٤.

[٤٤] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج١١، ص٥٨٩. وانظر: عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، **تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين**، تحقيق: عيادة بن أيوب الكبيسي، (الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٩هـ)، ج٨، ص٥٥١.

والطعن في مَن أنفق مِن الصحابة ﷺ، وفي هذا دلالةٌ على أن الهدف الحقيقي للمنافقين من عدم النفقة تمني إلحاق الضرر بالمجتمع المسلم، فليس بخلهم ناتجاً عن حب المال، إذ لو كان كذلك لاقتصروا على أنفسهم، وسكتوا عن إيذاء الآخرين.

وخلاصة الأمر، أن القيمة الحقيقية للمال يكمن في محاولة بذله للآخرين، من تفريج همٍ، ومساعدة فقيرٍ، ونحو ذلك، لا بالبخل به، وجعله أداةً لهدم المجتمع، ولهذا فإنه من الواجب المحافظة على هذا المال، وصرفه في مصارفه الشرعية المأمونة.

الخاتمة

بعد مناقشة موضوع المنافقين، وأساليبهم المستخدمة لهدم المجتمع، نستطيع القول أن النفاق مرضٌ خطيرٌ قد يصيب أفراد المجتمع المسلم، لهذا هو بحاجةٍ إلى التعامل معه بأفضل طريقةٍ، وأحسن أسلوبٍ، حتى لا ينتشر شره، ويعُم ضرره، وبهذا يتبيَّن لنا خطورة هؤلاء المنافقين، وأنهم يسعون إلى هدم المجتمع من خلال نشر الأراجيف، والإشاعات، أو الطعن في الرموز، والقدوات حتى يكون هناك غيابٌ لصانعي الهوية الإسلامية داخل المجتمع، مع محاولتهم الدؤوبة اغتيال القادة، والعلماء، وذلك لأنهما صماما الأمان دائماً، حتى وصل بهم الأمر إلى محاولة العبث بفريضة الجهاد في سبيل الله، وذلك من خلال منع اخراج المال لأهل الجهاد، والاستهزاء بمن سعى إلى محاولة البذل، والنفقة لهم.

من أجل ذلك كان من الواجب دعوة الباحثين إلى بذل المزيد من الجهود، والدراسات حول المواضيع التي تتعلق بأمن المجتمعات الإسلامية، سواءً أكان ذلك في الجانب الفكري، أو الاجتماعي، أو السياسي، أو غير ذلك، حتى تتشكل لدينا قاعدةٌ معلوماتيةٌ يمكن الرجوع إليها أثناء الأزمات، والفتن، مع أهمية إنشاء مركزٍ للأبحاث، والدراسات يُعنى بجمع المعلومات عن جميع الطوائف، والأحزاب داخل المجتمع المسلم، ومعرفة رموزها، وكذا الفاعلين فيها، مع محاولة تصحيح الأخطاء الفردية بحقهم إن وجدت، وكذلك وضع حلولٍ مناسبةٍ لهم، بما يساهم في ضمان أمن المجتمع، واستقراره، وكذلك الاهتمام بدراسة وضع الأقليات داخل المجتمعات الإسلامية بشكلٍ دوريٍ، ومعرفة مدى أثرهم على المجتمع سلباً كان، أو إيجاباً، وما هي أفضل الوسائل، أو السبل للتعامل معهم، ومعالجة أخطائهم، وبذلك نحفظ المجتمع من عبث العابثين، ومن خطورة تسلل بعض الأفكار الفاسدة إليها، إضافةً إلى الاعتناء بالتربية العقدية لأي فردٍ،

أو جماعةٍ عنايةً تامةً، وذلك لأنها تعتبر الوسيلة الفعالة في مواجهة فِكر النفاق، والمنافقين داخل المجتمعات الإسلامية على مر العصور.

وفي الختام، نقول: اللهم اجعلنا هُداةً مُهتدين، غير ضالِّين ولا مُضلِّين، سِلماً لأوليائك، حرباً على أعدائك، نُحب بِحبك مَن أحبك، ونُعادي بعداوتك من خالفك، وصلِّ اللهم على سيدنا محمدٍ، وعلى آله، وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المراجع والمصادر

القرآن الكريم.

ابن أبي حاتم. عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي. (١٤٣٩هـ). **تفسير القرآن العظيم**. عيادة بن أيوب الكبيسي. (تحقيق). ط١. الرياض: دار ابن الجوزي.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (١٤٢٣هـ). **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، محمد المعتصم بالله البغدادي. (تحقيق). بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني الدمشقي. (١٤١٦هـ). **الإيمان**. محمد ناصر الدين الألباني (تحقيق). ط٥. بيروت: المكتب الإسلامي.

ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني. (١٤٢١هـ). **المسند**. شعيب الأرناؤوط وآخرون (تحقيق). ط١. بيروت: دار الرسالة.

ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤م). **تفسير التحرير والتنوير**. د.ط. تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي. (١٣٩٩هـ). **معجم مقاييس اللغة**. عبد السلام محمد هارون. (تحقيق). د.ط. بيروت: دار الفكر.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي. (١٩٩٨م). **زاد المعاد في هدي خير العباد**. شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط. (تحقيق). ط٣. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (١٤٢٠هـ). **تفسير القرآن العظيم**. سامي بن محمد السلامة. (تحقيق). الرياض: دار طيبة.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الأفريقي المصري. (دت). **لسان العرب**. د.ط. بيروت: دار صادر.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري. (١٣٧٥هـ). **السيرة النبوية لابن هشام**. مصطفى السقا وآخرون. (تحقيق). ط٢. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان. (١٤١٤هـ). **البيان في عد آي القرآن**. غانم قدوري الحمد (تحقيق). ط١. الكويت: مركز المخطوطات والتراث والوثائق.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٤١٩هـ). **الصحيح**. أبو صهيب الكرمي. (عناية). د.ط. الرياض: بيت الأفكار الدولية للنشر.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. (١٤٠٩هـ). **معالم التنزيل**. محمد عبد الله النمر وآخرون. (تحقيق). د.ط. الرياض: دار طيبة.

البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. (١٤٢١هـ). **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى**. محمد صبحي بن حسن حلاق ومحمود أحمد الأطرش. (تحقيق). ط١. دمشق: دار الرشيد.

جمع من العلماء، (١٤٠٨هـ). **الموسوعة الفقهية**. ط٢. الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

الحميدي، عبد العزيز بن عبد الله. (١٤٣٢هـ). **المنافقون في القرآن الكريم**. ط٢. الرياض: دار كنوز اشبيليا.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. (٢٠٠٩م). **مفردات ألفاظ القرآن**. ط٤. دمشق: دار القلم.

رشيد رضا، محمد. (١٣٦٦هـ). **تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار**. ط٢. القاهرة: دار المنار.

الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق. (١٩٦٥م). **تاج العروس من جوهر القاموس**. د.ط. الكويت: مطبعة حكومة الكويت.

الزحيلي، وهبة. (٢٠٠١م). **التفسير الوسيط**، ط١. بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر.

السعيد، حسن. (٢٠١١م). **سيكولوجية الإشاعة**. د.ط. عمان: دار دجلة.

الشعراوي، محمد متولي. (١٩٩١م). **تفسير الشعراوي**. د.ط. القاهرة: مطابع أخبار اليوم.

الشوكاني، محمد بن علي. (٢٠٠٧م). **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. ط٤. بيروت: دار المعرفة.

الصلابي، علي محمد. (١٤٢٩هـ). **السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث**. ط٧. بيروت: دار المعرفة.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب. (١٤٢٢هـ). **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. عبد الله بن عبد المحسن التركي. (تحقيق). ط١. القاهرة: دار هجر.

الطريفي، عبد العزيز بن مرزوق. (١٤٣٨هـ). **التفسير والبيان لأحكام القرآن**. ط١. الرياض: مكتبة دار المنهاج.

العقلا، عبد الله بن فريح. (١٤٢٣هـ). **إعداد الجندي المسلم أهدافه وأسسه**. ط١. الرياض: مكتبة الرشد.

عمر، أحمد مختار. (١٤٢٣هـ). **المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته**. ط١. الرياض: سطور المعرفة.

غرين، روبرت. (١٤٣٠هـ). **٣٣ إستراتيجية للحرب**. سامر أبو هواش. (ترجمة). ط١. الرياض: العبيكان.

الغضبان، منير محمد. (١٤٢٦هـ). **المنهج التربوي للسيرة النبوية التربية الجهادية**. ط٥. عمان: دار الوفاء.

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبو بكر. (١٤٢٧هـ). **الجامع لأحكام القرآن**. عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون. (تحقيق). ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.

قطب، سيد. (١٤٢٣هـ). **في ظلال القرآن**. ط٣٢. القاهرة: دار الشروق.

الماوردي، علي بن محمد بن حبيب. (١٤٠٩هـ). **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**. أحمد مبارك البغدادي. (تحقيق). ط١. الكويت: مكتبة دار ابن قتيبة.

محفوظ، محمد جمال الدين علي. (د.ت). **النظرية الإسلامية في الحرب النفسية**. د.ط. القاهرة: دار الاعتصام.

محفوظ، محمد جمال الدين علي. (د.ت). **النظرية الإسلامية في القيادة الحربية**. د.ط. القاهرة: دار الاعتصام.

مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، (١٤٣٩هـ). **موسوعة التفسير بالمأثور**. مساعد بن سليمان الطيار. (إشراف). ط١. بيروت: دار ابن حزم.

مسلم، ابن الحجاج القشيري النيسابوري. (١٤٢٧هـ). **الصحيح**. نظر محمد الفاريابي. (عناية). ط١. الرياض: دار طيبة.

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة. (١٤١٤هـ). **ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ**. ط١. دمشق: دار القلم.

النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن. (١٤٢١هـ). **السنن الكبرى**. حسن عبد المنعم شلبي. (تحقيق). ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.